أطفال الخليج
مركز دراسات وبحوث المعوقين
www.gulfkids.com

القصة في حياة الموهوب

تقديم: خلود محمد الحداد

برنامج التربية الخاصة

(تخصص موهوبين)

المقدمة:

إن ظاهرة الطفل الموهوب قد لفتت نظر المفكرين والمربيين منذ أقدم العصور، وحاول بعضهم أن يقدم تفسيرات شتى لهذه الظاهرة بل وتمكن الكثير من الباحثين من الوصول إلى نتائج عديدة عن شخصية وسمات الطفل الموهوب بالإضافة إلى احتياجاته النمائية. ومما لا شك فيه فإن العناية بتغذيته الفكرية أمر ضروري لنمو مواهبه وشحذ قدراته ، والقصة هي أحد الفنون الفكرية والثقافية التي يمكن أن تكون رافداً مهماً من روافد تشكيل النمو الثقافي للموهوب . وتشكو مجتمعاتنا العربية بل تكاد تفتقر إلى وجود قصص تحفز الموهوبين على الإبداع وذلك لأن مكتبتنا تتكئ على القصص المترجمة من اللغات الأخرى ،وإن كانت جيدة وصالحة إلا أنها صالحة للمجتمع الذي كتبت فيه، فهي تغفل البيئة ـ دون قصد ـ العربية ؛ هذه البيئة التي تتسم بملامح خاصة ، وبمفاهيم بيئية مختلفة ، يتشربها الطفل منذ ولد ،وتورث له أبا عن جد . وهذه محاولة ودعوة للاهتمام بهذا النوع من الفن للارتقاء بدراما القصة التي تناسب عقلية الطفل الموهوب الذي قد لا يجد بديلاً للقصص المحلية التي لا تضيف إلى قدراته ومهاراته القدر المطلوب من الإبداع. بالإضافة إلى أن القصص الموجهة للطفل الموهوب المراد خلقها تسعى إلى تنمية روح الموهبة والابتكار لديه وتهدف إلى تطوير مهاراته العقلية والنمائية واللغوية على حد سواء، كما أنها تأتي لتناسب البيئة المحلية للموهوب ؛ الثقافية والاجتماعية ؛ مدعومة بالصور والمناظر التي تساعده على استيعاب الأحداث، فحتى إذا ما بحث الموهوب عن نفسه وجد ما يمثله فيها.

نبذة عن تاريخ الأدب في العالم العربي:

تشير المراجع التاريخية إلى أن أدب الطفل قد تأخر كثيراً جداً في وطننا العربي مقارنة مع انتشاره وتطوره في أوروبا. ففي عام ١٩٣٠ بدأ الحديثُ عن "أدبيات الطفل" يتردد على ألسنة المربين العرب والكتّاب في الدوريات العربية، وظهرت إلى الوجود ملامح تأصيل جنس أدبي للطفل، وقبل هذا التاريخ، كانت كتب الأطفال تقتصر اقتصاراً ـ يكاد يكون تامَّاً ـ على الأغراض التعليمية "مادةً للقراءة المدرسية" تهتمّ بالمحصول اللغوي، وتدعو إلى القيم والآداب الحميدة، والتمسك بالدين، ثم وُجدت أصوات تدعو إلى ضرورة الاهتمام بالتأليف للأطفال بعيداً عن التعليم، وبدأت تستحوذ على اهتمام المختصين في مصر الشروطُ الواجب توافرها في الكتب الموجهة للصغار، سواء من حيث الشكل، أو من حيث المضمون، محاولةً منهم لحثّ كُتَّاب الطفل على تقديم الأفضل، وقد أشاد "د. زكي مبارك" برائدين، فقال: "أشهر المؤلفين في هذا الباب رجلان: محمّد الهراوي، وكامل الكيلاني، وهما بعيدان عن التدريس". [١] لقد نجحت القصة الطفلية ـ في مصر، خاصة ـ في الاستفادة من التراث، ولعل سبب نجاحها في هذا التوّجه، عائدٌ إلى طبيعة الجنس الأدبي القصصي، الذي رأى في التراث جانباً درامياً بتسليط الضوء على ثنائية التضاد، أو المفارقة الفنية في الخير والشرّ، والحق والباطل، والعدل والظلم، والجمال والقبح، مستغلةً ما استوحته في ذلك من التراث الشعبي الموروث. كسِيَر "عنترة، وذات الهمة، والملك الظاهر بيبرس، وسيف بن ذي يزن، وعلي الزيبق، وشهرزاد، والسندباد..." وسواها من السِيَر التي اجتمعت في شخصيات أبطالها، إلى جانب الصفات الإنسانية، جوانبُ سحرية خارقة، مما جعل "السيرة الشعبية تمثّل ذخيرةً عربية لا تنفذ مهما قُدّمت في أشكالها، وزاداً لا ينتهي، حينما تغدو مصدراً جيداً من مصادر ثقافة الطفل، لا تقلّ أهمية ـ إن لم تكن تتفوّق ـ على هؤلاء الأبطال المعاصرين، الذين يتفوّقون بالحاسوب وغيره من الأدوات العصرية" التي يمكن الاستفادة منها في تشكيل وجدان الطفل. [٢]

---

[١] أحمد زلط: المدخل إلى أدب الطفولة، أسسه، أهدافه، وسائطه، ط ٢ظ، الإسكندرية: المكتب المصري الحديث، ١٩٩٠م.

[٢] محمد قرانيا. قصائد الأطفال في سورية. ص ٩٦ وما بعد. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.

أثر القصة على الطفل الموهوب:

نظرا لما للأدب من وظيفة تعليمية وجمالية فإن القصة بشكل خاص لها سحر على القلوب وتحديدا الأطفال فالقصة ليست مجرد وسيلة لقضاء أوقات الفراغ ، أو حكايات لشغل وقت الطفل ما قبل النوم ، بل ترتقي إلى هدف المساعدة في نمو الأطفال في كافة المجالات نمواً سوياً، فهي تنمي عدد من المهارات والقدرات والخبرات التي تساعد على النمو السوي للطفل ، منها تنمية الإحساس بالأمن والأمان من خلال روح المودة والتعاطف والألفة التي تسيطر على الطفل أثناء قراءته أو سماعه للقصة. [٣]

ويميل الطفل عادة إلى الأدب الذي يشبع فيه رغبته الملحة إلى الفن عامة، والأدب القصصي خاصة، كما أن للأساليب الأدبية قيمها الجميلة وجمالها المعهود الذي يستشعره كل طفل، حتى دون أن يفهم سبباً لذلك، لأن الطفل حساس بفطرته لكل ما يساعد على الإثارة والانفعال الجميلين .. فلكل من القصيدة الجيدة، والقصة ذات الحبكة الفنية الممتازة، والمسرحية، القطع الأدبية، وما يجرى بها من إيقاع موسيقي، ونغم متدفق ـ الأثر المحمود في ترقية وجدان الطفل، واستعادة الثقة في نفسه وفيمن حوله، ما يزيد في إعجابه بالحياة، وحبه لها، ويدفعه من ثم إلى التعلق بها والعمل من أجل إنهاضها، وإسعاد غيره. فالأدب لكل هذا معرض فني، وموطن لجمال الكون والطبيعة وصور الحياة، ومجال للأذواق وترقيتها، وعنصر فعال في بناء الشخصية وتنمية قدراتها وتنويرها. لهذا كله كان الأدب أحد المجالات التي تعمل على ازدهار الطفولة، وتربية الناشئة، وسبيلاً من سبل العلاج والترقية والتهذيب.

فا لقصة لها أهمية في تنمية مهارات التواصل لدى الطفل ، خاصة مهارات الحديث والإنصات والتمهيد للقراءة والكتابة فهي تساعده على اكتساب مفردات لغوية جيدة تمكنه من أسلوب مميز في الخطاب مع الآخرين ومعرفة مفاتيح الأساليب في التحدث والتواصل بالإضافة إلى تمكينه من فتح دائرة الحوار بأسلوب لبق وفاعل. وكذلك تنميّة الجانب المعرفي بما قد تضيفه من معلومات حول العالم الواقعي والمُتخيّل. فإن القصص عموماً تنمي خيال الطفل وذلك بنقله إلى عوالم غير مألوفة ، وتقديم نماذج غريبة عليه ، و بالتالي تنمي قدراته الإبداعية من خلال مشاركته في فعل الحكي

[٣] الفيصل ، د. سمر روحي. أدب الأطفال وثقافتهم(قراءة نقدية) . ص ٢٥ . دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.

أو الأنشطة الأخرى المرتبطة به كالكتابة والتحليل والإجابة عن الأسئلة. و للقصة أثر كبير في غرس القيم والفضائل ، فالطفل تستهويه القصة في سنين عمره المبكرة ويفضلها على غيرها لأنها تترك أثرا واضحا في نفسه وتغرس لديه القيم المرغوب فيها من خلال مشاركته الوجدانية وتعاطفه مع أبطال القصة ومعايشته الحوار والأحداث التي تصورها .[٤]

وللقصة أثر واضح وجلي في إثراء خبرات الطفل الموهوب في حياته العملية وتزويده بالتجارب المكتوبة التي تساعده في نسج خبرات في شخصيته عن التراث والعادات والتقاليد والقيم والمبادئ التي لها الدور الأهم في تكوين شخصية الطفل الموهوب وتمكينه من التفاعل مع مجتمعه ومواصلة الاستفادة من الخبرات السابقة التي توفر له رؤية شاملة عن مواقف متعددة يراها ويختزنها ويحللها ليخرج بعد ذلك بخبرات متميزة كما لو كان تعرضه لهذه التجارب أو الخبرات في سن الرشد.

إن القصة كذلك تزيد من شغف الأطفال والتلاميذ بالأعمال الفنية، وتدفعهم إلى بذل المزيد من حسن الاستعداد، ومن الجهد العقلي للاستفادة من هذه المواد فهذا الأثر الفني يخلق في عالم الطفل توجهات نحو الجمال، فالقصة تبرز القدرات المتذوقة وتكشف عن القدرة الإبداعية لدى الطفل الموهوب، .. بذلك نستطيع تنشئة الطفل تنشئة تذوقية حسب استعداده، وقدراته، وطبيعة مرحلته .. فرحلة الطفل خلال مراحل نموه برفقة الأدب، تخلق نوعاً من الصلة بين الجمال والإحساس به، ويمكن تلمس أثر هذا على الطفل الذي تعود الاستماع إلى الأدب أو مشاهدته، أو قراءته .. حيث الطفل يكون عادة في أتم صحته النفسية، وأكمل درجات نضجه، وأفضل حالاته الوجدانية والذهنية .. وهذا كله صدى للحس الذوقي الذي نما لديه أثر ارتباطه الدائم بالتذوق الأدبي.

وسألخص فيما يلي أثر القصة الاجتماعي واللغوي والفني والفكري والخيالي والمعلوماتي وعلاقتهم ببعضهم في حلقة متصلة:

- تنشئة الشخصية، وتكاملها، ودعم القيم الاجتماعية والدينية، والثقافية .. ومن ثم تكوين عادات التذوق السليمة، والتوجهات نحو الجمال في كل ما يتصل بالحياة اليومية

[٤] مختار، وفيق صفوت. سيكولوجية الأطفال الموهوبين. ص ٢٣١. القاهرة: دار العلم والثقافة، ٢٠٠٥.

والاجتماعية، والحضارية. ويصبح الطفل قادراً على مواصلة علاقاته الإيجابية ببيئته، ويؤكد دائماً على مطالبه لتحقيق الجمال في حياته العامة والخاصة.

- تتكون لدى الموهوب قدرات وخبرات وتجارب وثقافة تعمل على التأكيد على شخصية الطفل المتذوقة للجمال، وإصدار أحكام إيجابية لصالح النظام والنظافة، وذلك في إطار الجمال العام. بالإضافة إلى دعم القيم الروحية والقومية والوطنية لدى الأطفال، وذلك لخلق ثقة كاملة في مستقبل أمة تنهض على أكتاف مسئولين تربوا وهم أطفال على التذوق، والتمسك بالجمال في حياتهم الخاصة والعامة.
- القدرة على تذوق اللغة واستعمالاتها وحسن توظيفها .. ومن ثم تكوين عادات عقلية وفكرية، تكون قادرة على تهيئة ، ليصبحوا قادة المستقبل، ومفكريه.

إن الأطفال الذين ينشئون نشأة تذوقية أدبية يحققون اكتساب المهارات الآتية:

- التعبير باللغة والرسم عن أفكارهم وإحساساتهم لتنمية قدراتهم على الاستفادة من ألوان الثقافة وفنون المعرفة وإعدادهم للمواقف الحيوية التي تتطلب القيادة والانتماء والتمسك بالجدية والاستفادة في الوقت نفسه من مباهج الحياة.
- التذوق اللغوي والأدبي يحقق للأطفال مجالات وأفاقا أوسع في تعاملهم واحتكاكهم الاجتماعي والإنساني ويعالج سلبيات الأطفال المتمثلة في انطوائهم وعزلتهم وارتباك مواقفهم وتخرجهم هذه القدرات اللغوية وتذوق الأدب من إطارعيوبهم الشخصية والاجتماعية إلى إطار أوسع من النشاط والحيوية والتعاون والإقبال على الحياة.
- قدرة على القراءة الواعية وعلى تقدير قيمة الكلمة المكتوبة فكرية ووجدانية ومن ثم إعداد الأطفال لتولى أعمال إذاعية ومسرحية.
- معرفة الدلالات المعجمية و الدلالات الثانوية الموحية بالإضافة إلى تذوق المجازات التي هي في الحقيقة استعمالات لغوية تدل على الذكاء وحسن توظيف اللغة و هي ضرورية لتنمية التعبير وإمكاناته وتجديد طرائقه بل هنالك من يرى أن اللغة كلها مجازات.

- تنمية الإحساس بالجمال لدى الموهوبين و تغذية مخيلة الطفل بكل ما يثير ويمتع.
- إن الأدب في افقه الأوسع مجموعة من التجارب والخبرات وعندما نقدم شيئا منه لأطفالنا إنما نقصد إلى أن الأطفال لم يخوضوا أية تجربة شخصية مؤلمة ولم يستطيعوا التعرف على معنى وماهية الخوف القابع في أعماقهم ولهذا فإنهم يجدون في أدبهم تعويضا عن ذلك في تلك الشخصيات والأحداث والمناسبات التي يتضمنها أدبهم .فكاتب أدب الأطفال العظيم هو القادر بحق على التعبير عن مشاعر الخوف العميقة لدى أطفالنا والقادر على أن يبتكر لهم مشاعر وأحاسيس تربطهم بالحياة بشكل أجمل.

دراسة إحصائية حول حاجة الطفل الموهوب إلى قصص تخصّه:

أشارت الدراسات الإحصائية إلى الآتي:

- ٢٨ من أصل ٣٠ أجابوا باحتياجهم إلى وجود قصص تخص الموهوبين .
- ٢٢ من أصل ٣٠ يجدون صعوبة في وجود قصص تحاكي موهبة أطفالهم.
- وأثبت الاستبيان أن ١٠% من الأمهات فقط يذهبون لشراء قصص لأطفالهم وذلك في مدة أكثر من شهر تقريباً.
- أجابت ٢٧ أم بأنها تجده مهما في توجيه طفلها عند شراءه للقصص.
- تبين من الدراسة الميدانية أن معظم الأطفال يشد انتباههم العنوان وذلك بنسبة ٤٠% بينما ٣٠% ممن الأطفال يلفت انتباههم الموضوع والفئة المتبقية من ناحية الإخراج والصور.
- أجابت ٩٠% من العينات بأهمية أن تكون القصص من كلا البيئتين العربية والأجنبية وكان سبب التفضيل في ذلك ليكون لدى الطفل إلمام تام بثقافة كلا البيئتين. بالإضافة إلى أهمية البيئة العربية وذلك في تميزها بالمعرفة والمعاني والمحتوى الزخم بالأحداث التاريخية والاجتماعية التي تشبع فيهم انتمائهم لبيئتهم و يتعرف الطفل على البيئة المقابلة ويطلع على ثقافتها وإمكانياتها وتاريخها وعلاقتها بالبيئة العربية وما تربطهما من أحداث سجلها التاريخ القديم.

ونستنتج من الدراسة السابقة أهمية القصة في حياة الطفل الموهوب إذ تنبع هذه الأهمية من حاجته الماسة إلى قصص تحاكي إمكانياته وشخصيته ذات الموهبة الفطرية غير العادية، ويتبين من هذه الدراسة أيضا أهمية القصص العربية والأجنبية في نفس الوقت وتأثيرهما على حياة الطفل بالرغم من أننا كتربويين نود الاعتماد بكثرة على القصص العربية وذلك لزيادة إنتاج المؤلفات العربية لفائدة الطفل الموهوب لذاته.

نتائج الباحثة:

من خلال ورشة عمل كتابة القصة الإبداعية التي تم فيها جمع أكثر من ١٥ طالب موهوب من مدارس مختلفة في مدينة جدة من عمر ٩إلى ١١ سنة قمنا بتحفيز الطلاب لاختلاق قصة يمتزج فيها ما يدور في عقل الطالب الموهوب من أفكار ودلالات أو خبرات يخرج من بينها بقصة جديدة، وقد تبين التميز الظاهر في الأفكار والأساليب حيث جمعت القصص ما يزيد على ٩ أفكار جديدة ومتميزة وقد اتسمت بسلامة اللغة والأسلوب ووحدة القصة وكان فيها من الخيال ما يكشف الموهبة غير العادية في هؤلاء الطلاب رغم أنني أرى أن هناك ما زال شيء من المحدودية في الخيال وأرى أن ذلك ناشئ من قصور في البيئة المتوفرة للطالب الموهوب ويشمل ذلك قلة المؤلفات القصصية المقدمة لهم التي بالتأكيد توسّع مداركهم وخيالهم وتجعل منه حلقة خصبة للأفكار المتميزة.

التوصيات والاقتراحات:

لكي نربي الإبداع الأدبي أو الموهبة الثقافية لدى طلابنا الموهوبين فإننا قد نصب هذا الاهتمام في ثلاث خبرات على الطالب الموهوب أن يستزيد منها وهي: الخبرة الثقافية، الخبرة الفنية، و الخبرة الخيالية.

الخبرة اللغوية:

يجب على المربيين والتربويين أن يزوّدوا الطلاب الموهوبين بتدريبات لغوية كثيرة كتنظيم المباريات بين الموهوبين في التعبير الشفوي والكتابي عن شيء محسوس ، أو عن فكرة معنوية مجردة، أو عن تناقض موقفين. ومنها التدريب على إبدال التعبير الجميل بآخر مثله أو يفوقه، أو

إعادة سرد قصة بأسلوب يفوق أسلوبها متانة وجزالة. ومنها مهارة التلخيص، تلخيص عدد كبير من الصفحات بعدد قليل منها ، فأقل، مرة بعد مرة، بغية إعداد الموهوب لمهارة التركيز والتكثيف اللازمة للشعر والقصة القصيرة والمسرحية. فالتربية اللغوية تنمو إذا أُحسنت تربيتها.

الخبرة الفنية:

يجب أن نعلم أن الموهبة القصصية تتألق إذا عرف كاتب القصة تقنيات القصة وأصبح ماهراً في استعمالها وتوظيفها مما يُسهم في صنع الخبرة الفنية القصصية . لذلك فإن وظيفة المختصين في حقل الموهبة أن يعززوا من تكثيف هذه المهارات الفنية لدى الطلاب فيتشكل لديهم خبرة جمالية تُساعد في الارتقاء إلى المستوى المطلوب من التميز في الأسلوب الفني للقصة المكتوبة.

الخبرة الخيالية:

إن تربية الإبداع الأدبي لدى الموهوبين تحتاج إلى الخيال بصورة كبيرة لذلك يجب على المختصين مراعاة القاعدة التالية: (كلما اتجه التفكير إلى الواقع قلت الصور) [٥] لذلك فإن على المختصين دفع الطفل الموهوب إلى تشكيل الصور استناداً إلى خياله، ونرى أن في ذلك تدريب لخيال الموهوب على التحليق فوق الواقع ليتمكن من نقله إلى شكل تركيبي جديد معبّر عن آليته وحركته الموضوعية وليس الغرض إبعاد الطفل الموهوب عن الواقع. ويوضح الأستاذ عبد الحميد حنّورة أن تربية الخبرة الخيالية تنبع من انتقاء الأساليب الفضلى للإفادة من التخيّل. وأفضل هذه الأساليب ما انطلق من إثارة اهتمام الطفل بالموضوع ودفعه إلى التعلق به، وكأنه أمام مشكلة تحتاج إلى حل. ومن ثم تشجيعه على تخيّل الحلول الملائمة لها [٦]

الخاتمة:

أستطيع الإدعاء هنا بأنني توصلت إلى نتائج متواضعة ولكنها كفيلة، في رأيي ، بالنظر في الأدب الموجه للطفل الموهوب. وأرى أننا كل ما نريده لطلابنا الموهوبين هو أدباً علمياً ، يرمي إلى صنع حياة أفضل للطفل الموهوب، هذا الإنسان الذي نريده فاعلاً مبدعاً قادراً على مواجهة التحديات، حاملاً الفكر العلمي النقدي وسبّاقاً إلى التعلق بأسباب العلم والتقدم التكنولوجي. وإنه

---

[٥] الطوبجي، د. حسين حمدي: ووسائل تربية الإبداع في رياض الأطفال(ضمن كتاب: الطفولة العربية والعدالة التربوية الغائبة) الجمعية الكويتية لتقدّم الطفولة العربية- الكويت: ١٩٨٧.

[٦] انظر ص٥٧ من : الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية- د. حنورة .

لجدير بكتابنا ومبدعينا ومؤلفينا المتوجهين للأطفال تكثيف جهودهم الإبداعية في هذا المجال لتحقيق ما نصبوا إليه، كما أنه ينبغي على الهيئات الإقليمية المتفرعة من منظمة اليونسكو أو جامعة الدول العربية ووزارات الثقافة والإعلام وسائر الجهات المهتمة بثقافة الطفل في وطننا العربي الكبير، وبدور النشر الحكومية والأهلية، أن تتبنى الاهتمام والتمويل لبعض المشروعات الثقافية المهمة لتأليف القصص والكتب والسلاسل الإبداعية والموسوعات العلمية في هذا المجال، وأن تُنجز العديد من الأفكار والطموحات والتصورات عبر سائر وسائط ثقافة الأطفال باختلاف وسائلها وإمكاناتها وأهدافها من إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات، حتى نتبوأ المكانة اللائقة بنا في زمن العولمة.

المراجع

أحمد زلط: المدخل إلى أدب الطفولة، أسسه، أهدافه، وسائطه، ط ٢ظ، الإسكندرية: المكتب المصري الحديث،١٩٩٠م.

محمد قرانيا. قصائد الأطفال في سورية. ص ٩٦ وما بعد. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.

الفيصل ، د. سمر روحي. أدب الأطفال وثقافتهم(قراءة نقدية) . ص ٢٥ . دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.

مختار، وفيق صفوت. سيكولوجية الأطفال الموهوبين. ص ٢٣١. القاهرة: دار العلم والثقافة، ٢٠٠٥.

الطوبجي، د. حسين حمدي: ووسائل تربية الإبداع في رياض الأطفال(ضمن كتاب: الطفولة العربية والعدالة التربوية الغائبة) الجمعية الكويتية لتقدّم الطفولة العربية- الكويت: ١٩٨٧.

انظر ص٥٧ من : الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية- د. حنورة .

مراجع إضافية:

مجلة العربي (الكويت)، عدد خاص ـ الطفل العربي والمستقبل، أبريل ١٩٨٩، ص ١٧٥.

مجلة الثقافة، الجزائر، العدد ٢٧ يونيو، مرجع سابق، ص ٩٥.

مجلة الحياة الثقافية، تونس، مارس ـ يونيو ١٩٨٣، ص : ٨٨.